

أسرى الحرية

حوار من وراء القضبان مع
أحمد سعدات ومروان البرغوثي

في المنعطف الذي تدخله القضية الفلسطينية مع المسار التفاوضي الجديد الذي يبدو غامض الملامح وخاضعاً لاحتمالات شتى، كان لا بد من أن نستمع إلى صوت القادة الفلسطينيين السجناء.

القائدان أحمد سعدات (الأمين العام للجهة الشعبية لتحرير فلسطين) ومروان البرغوثي (عضو اللجنة المركزية لحركة "فتح") يجيبان، من جهة، عن أسئلة "مجلة الدراسات الفلسطينية" من وراء القضبان، فيقومان تجربتهما في الأسر، ويقرآن تجربة الحركة الأسيرة، ومن جهة أخرى يقدمان رؤية سياسية للخروج من المأزق الذي

تعيشه القضية الفلسطينية في مرحلة ما بعد الانتفاضة الثانية.

الحوار مع القائدين الأسيرين، والذي كانت دونه عقبات لا تحصى، هو محاولة لكسر قضبان الزنانات التي وضعها الاحتلال كي يفصل بين الأسرى وشعبهم. فالأسرى الذين لم تهن إرادتهم يوماً، كانوا وسيبقون صوت الضمير الوطني الفلسطيني، وقضيتهم هي جزء أساسي من قضية حرية شعبهم وتحرره من الاحتلال.

كانت المعتقلات والسجون الإسرائيلية بمثابة جامعة وطنية فلسطينية تخرّج كادرات نضالية، بل أكاديمية أيضاً، إذ إن كثيرين من الأسرى أكملوا دراساتهم العليا وهم في قيد الاحتجاز. وأصلاً لم يكونوا ليتمكنوا من ذلك لولا نضالات صعبة وشاقة، وتحّد يومي للسجانين وسلطات السجون والحكومات الإسرائيلية، مكنّاهم من تحسين ظروف الاحتجاز المنافي لشرعة حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي والقانون الدولي، الذي لا يجيز لسلطات الاحتلال اعتقال المواطنين الواقعيين تحت الاحتلال على أساس الانتماء السياسي أو العرقي أو الديني أو المعتقد.

وخلال ٤٧ عاماً من نضال دؤوب، سقط أكثر من ٢٠٠ شهيد جرّاء أوضاع الاحتجاز غير الصحية وسياسة الإهمال الطبي المتعمد، ونتيجة الإضرابات المفتوحة عن الطعام التي خاضها الأسرى، كمجموعة أو أفراد، احتجاجاً على أوضاع الاعتقال، ومناصرة للفلسطينيين الواقعيين تحت نير الاحتلال داخل فلسطين، أو أولئك المستهدفين بالاعتداءات الإسرائيلية في مخيمات الشتات.

لقد أدت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة أدواراً في ردف نضالات الفلسطينيين خارج السجون بالرأي السديد، ومحاولة تصويب بوصلة السياسة الفلسطينية. فعند كل منعطف سياسي كان للحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة داخل سجون الاحتلال موقف واضح لدعم توجّه سياسي ما، أو تصويب اتجاه قررت القيادة الفلسطينية.

كما قام الأسرى في سجون الاحتلال بدور بارز في مساعي إنهاء الانقسام، عبر وثيقتهم "وثيقة الوفاق الوطني"* التي قدمت رؤياً واضحة وواقعية للحوار الوطني الشامل. وعلى الرغم من استمرار الانقسام، فإن الوثيقة لا تزال صالحة لإجراء حوار وطني شامل ينهي الانقسام ويستعيد الوحدة.

وإذا كان للأسرى الفلسطينيين رأي في التطورات السياسية خارج زناناتهم، فإنهم يواجهون بأجسادهم العارية السياسة التي تتبّعها إسرائيل إزاءهم، والهادفة إلى ضرب صمودهم وتثبيسهم. وقد خاضوا بهدف تحسين ظروف اعتقالهم عشرات الإضرابات والمواجهات المباشرة مع سلطات السجون الإسرائيلية، وربما كان أبرز تلك الوقفات النضالية إضراب "الأمعاء الخاوية"، الذي بدأ في ١٧ نيسان / أبريل ٢٠١٢ حين امتنع ١٦٠٠ أسير فلسطيني من تناول وجبات الطعام لذلك اليوم وأعادوها إلى إدارة السجون في خطوة أطلقوا عليها اسم "معركة الأمعاء الخاوية" التي فضّلوا فيها الجوع على الخضوع لسياسات وأفعال وصفوها بالتعسفية، وباتت إدارات السجون الإسرائيلية تتخذها بحقهم. أمّا المطالب التي

* للاطلاع على النص الحرفي لوثيقة الأسرى، انظر: "وثيقة الوفاق الوطني للقوى والفصائل الفلسطينية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ١٧، العدد ٦٧ (صيف ٢٠٠٦)، ص ١٨٦.

رفعوها فكانت على النحو التالي:

- إنهاء سياسة الاعتقال الإداري، والعزل الانفرادي.
- إعادة التعليم الجامعي والتوجيهي.
- وقف الاعتداءات والاقترحات لغرف وأقسام الأسرى.
- السماح بالزيارات العائلية، وخصوصاً لأسرى قطاع غزة.
- تحسين العلاج الطبيّ للأسرى المرضى.
- وقف سياسة التفتيش والإذلال على الحواجز لأهالي الأسرى خلال الزيارات.
- السماح بإدخال الكتب والصحف والمجلات.
- وقف العقوبات الفردية والجماعية بحقّ الأسرى.

ويُعتبر الآن مطلب الإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال، دائم الحضور في الوجدانين الشعبي والسياسي، وقد أكد المفاوض الفلسطيني غير مرة، أن الحل النهائي لا يمكن الوصول إليه من دون الإفراج عن جميع الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين.

لقد تمكّن الأسرى الفلسطينيون، بنضالهم الدؤوب، من إيصال صوتهم إلى خارج أسوار سجونهم، وما نقوم به اليوم في "مجلة الدراسات الفلسطينية"، عبر حوارنا مع أحمد سعادات ومروان البرغوثي هو محاولة متواضعة من أجل أن تنفتح الأبواب أمام المناضلين والمناضلات الأسرى كي نستمع إليهم ونحتضن تجربتهم ونتماهى معهم، فحين يكون الوطن أسيراً يصير جميع المواطنين أسرى حتى إن لم يكونوا خلف أسوار السجون.

وطن سجين وشعب سجين، هذه هي فلسطين اليوم، وحوارنا مع اثنين من كبار القادة الأسرى سيستمر عبر فتح صفحات مجلتنا للتجربة الأسيرة، كي يكون صوت الضمير الفلسطيني هو الأعلى. ■